

المتلقي بين النص والخطاب
م. د إيناس عبد برّاك الحدراوي
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف
inasabed864@gmail.com

المخلص :

مع تطور الدراسات اللسانية الحديثة تحولت النظرة للنص موازية للخطاب، لم يكن مغلقاً ومحدود الدلالة على الزمكانية، فأتسع مجال البحث ليشمل تحليل الخطاب، بربط اللغة بسياقاتها الاجتماعية والثقافية والتداولية، كما أنّ فهم الخطاب لا يتحقق من المعنى الظاهر فحسب، وإنما يقتضي إدراك المقاصد، واستنتاج الدلالات الضمنية، والكشف عن الآليات التداولية التي تنتظم العملية التواصلية.

الكلمات المفتاحية: المتلقي، النص، الخطاب، التأويل، التداولية.

The Addressee between Text and Discourse

Assist. Dr. Inas Abed Barak Al-Hadrawi

Abstract

With the development of modern linguistic studies, the conception of the text has evolved beyond viewing it as a closed structure whose meaning is confined to a particular temporal and spatial context. This development has broadened the scope of linguistic inquiry to include discourse analysis, which examines language in relation to its social, cultural, and pragmatic contexts. Understanding discourse, therefore, cannot be restricted to its explicit meaning; rather, it requires the recognition of communicative intentions, the inference of implicit meanings, and the identification of the argumentative and pragmatic mechanisms underlying the communicative process.

Keywords: The recipient, text, discourse, interpretation, pragmatics.

المقدمة: الحمد لله رب العالمين حمداً لا أول له ولا آخر والصلاة والسلام على خير المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين . وبعد....

شهدت الدراسات اللسانية الحديثة تحولاً في النظر إلى النص، فلم يعد يُعامل معه بوصفه بنية لغوية مغلقة، وإنما بوصفه عملية تواصلية تتكاثف فيها العناصر اللغوية والسياقية والتداولية لإنتاج المعنى. وقد أسهم هذا التحول في توجيه الاهتمام نحو دراسة آليات إنتاج الدلالة وتلقيها، متجاوزاً حدود البنية الداخلية للنص إلى استكشاف العلاقات التي تربطه بسياقات الاستعمال ومقاصد المتكلمين وأدوار المتلقين. ويتجلى هذا المنظور في علم النص عن طريق مجموعة من المعايير النصية، كالاتساق والانسجام والإحالة والحذف والتكرار وغيرها من الآليات التي تسهم في تحقيق النصية، والتي لا يمكن أن تؤدي وظيفتها كاملة بمعزل عن المتلقي؛ إذ إن إدراك العلاقات النصية، واستكمال المحذوف، وتتبع الإحالات، وبناء الانسجام الدلالي، جميعها عمليات ينجزها المتلقي في أثناء القراءة، ما يجعل حضوره عنصراً أساسياً في اكتمال بناء النص، ومع تطور الدراسات اللسانية اتسع مجال البحث ليشمل تحليل الخطاب، الذي لم يقتصر على دراسة البنية اللغوية، بل ربط اللغة بسياقاتها الاجتماعية والثقافية والتداولية، مؤكداً أن فهم الخطاب لا يتحقق بمجرد الوقوف عند المعنى الظاهر، وإنما يقتضي إدراك المقاصد، واستنتاج الدلالات الضمنية، والكشف عن الآليات الحجاجية والتداولية التي تنتظم العملية التواصلية.

ويهدف البحث إلى بيان مفهوم المتلقي في الدراسات اللسانية الحديثة، والكشف عن دوره في تحقيق النصية وبناء المعنى، وبيان إسهامه في تأويل الخطاب واستنتاج مقاصده، فضلاً عن إبراز العلاقة التكاملية بين النص

والخطاب عبر فعل التلقي، وتطبيق ذلك على نماذج مختارة من نهج البلاغة، واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستثمرًا أدوات علم النص وتحليل الخطاب في دراسة نماذج مختارة من نهج البلاغة، للكشف عن الآليات النصية والخطابية التي تسهم في إنتاج المعنى، وبيان دور المتلقي في تفعيلها وتأويلها، مقسمًا البحث لقسمين أولهما: الدراسة النظرية المتعلقة بالنص والخطاب والدور المتلقي فيهما، مع تطبيق ذلك في النهج البلاغة وقد بان أمره في القسم الثاني بالتفصيل والتأويل والتحليل.

المبحث الأول

المتلقي بين النص والخطاب: الأسس النظرية وآليات بناء المعنى

تشهد اللسانيات المعاصرة تطورات معرفية ومنهجية عميقة؛ إذ نقلت اهتمامها من دراسة الجملة إلى دراسة النص والخطاب بوصفهما وحدة التواصل الحقيقية، مما أفضى -هذا التحول- إلى إعادة النظر في عناصر العملية التواصلية جميعها، فلم يعد يُنظر للمتلقي على أنه الحلقة الأخيرة في عملية الاتصال، بل أصبح عنصرًا فاعلاً في إنتاج المعنى وإعادة بنائه، حتى غدا حضوره شرطاً في اكتمال الفعل التواصل، وعليه تجاوزت الدراسات اللسانية التصور التقليدي، الذي يحصر المعنى في البنية اللغوية، لتؤكد أن تحقق الدلالة يتم عن طريق التفاعل بين النص والمتلقي والسياق، وهو ما جعل مفهوم المتلقي يحتل موقعاً محورياً في الدراسات اللسانية الحديثة^(١).

ويكشف تتبع التطور الاصطلاحي لمفهوم المتلقي أن هذا المفهوم لم ينشأ في الدراسات اللسانية بمعزل عن الحقول المعرفية الأخرى، بل تأثر بعدد من الاتجاهات الفلسفية والنقدية، ولا سيما الفلسفة الظاهرية التي أولت الوعي الإنساني أهمية كبيرة في عملية إدراك الموضوعات، ثم انتقل هذا التصور إلى نظرية التلقي؛ إذ تؤكد أن النص لا تتوقف دلالاته على لحظة إنتاجه، وإنما يظل مشروعاً دلاليًا مفتوحاً، وأصبح المتلقي شريكاً في إنتاج المعنى لا مستهلكاً له، غير أن الدراسات اللسانية أفادت من هذا التصور بما ينسجم مع طبيعة البحث اللغوي، فلم تتناول المتلقي من زاوية التذوق الأدبي، وإنما من زاوية دوره في بناء الدلالة وتحقيق الفعل التواصل^(٢).

ولئن كان مفهوم المتلقي قد ارتبط في بداياته بالنقد الأدبي، فإن اللسانيات النصية أعادت صياغته ضمن إطار وظيفي أكثر دقة؛ إذ جعلت نجاح النص مرتبطاً بقدرة المتلقي على تفعيل معايير النصية، فالنص لا يتحقق بمجرد انتظام جملة، وإنما يحتاج إلى قارئ يمتلك كفاءة لغوية ومعرفية تمكنه من الربط بين عناصره، واستكمال ما يحذف منه، وتفسير إحالاته، وإدراك العلاقات الدلالية التي تنتظم وحداته، وبذلك انتقل المتلقي من كونه عنصراً خارج النص إلى عنصر يسهم في تحقيق نصيته؛ لأن كثيراً من العلاقات التي يقوم عليها النص يستنبطها المتلقي أثناء عملية الفهم^(٣)، بما يمتلكه المتلقي من خبرات لغوية وثقافية. وهذا لا يعني إطلاق حرية التأويل دون ضابط، وإنما يعني أن النص يوجه قارئه عبر بنيته الداخلية، في حين ينجز المتلقي عملية استثمار تلك البنية للوصول إلى الدلالة الممكنة^(٤).

ويقتضي هذا التصور التمييز بين النص والخطاب؛ لأن كثيراً من الدراسات تخطت بين المفهومين أو تستعملهما مترادفين، مع أن لكل منهما مجالاً إجرائياً خاصاً، فالنص يمثل البنية اللغوية المنظمة التي تتجسد في ملفوظ مكتمل نسبياً، أما الخطاب فيمثل النص في حال اشتغاله داخل سياق تواصل محدد، فتتفاعل البنية اللغوية مع القصدية والسياق والعلاقات الاجتماعية والثقافية^(٥).

١- ينظر: سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي: ٢٤؛ في قضايا الخطاب والتداولية: ٤٧؛ الخطاب والنص: المفهوم والعلاقة والسلطة: ٣٤-٣٥.

٢- ينظر: سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي: ٢٥؛ ومقال: "تأثيرات الفلسفة الظاهرية في نظرية التلقي، مجلة العلامة، مجلد ٦/ العدد ٣، ٩٨.

٣- ينظر: في بناء النص ودلالاته (نظم النص التخاطبي - الإحالي): ١/ ٧٦.

٤- ينظر: في بناء النص ودلالاته: ١/ ٧٦؛ النص والخطاب في المباحث العرفانية: ٥٠.

٥- ينظر: الخطاب والنص: المفهوم والعلاقة والسلطة: ١٣٩؛ النص والخطاب والاتصال: ٨١؛ الخطاب والسلطة: ٧٧-٧٨.

وانطلاقاً من هذا التمييز، تتحدد وظيفة المتلقي على مستويين متكاملين؛ ففي المستوى النصي يسهم في تحقيق الاتساق والانسجام عن طريق الربط بين الوحدات اللغوية، أما في المستوى الخطابي فإنه ينتقل إلى استحضار السياقات والمقاصد والافتراضات المسبقة، فيعيد بناء المعنى في ضوء الملابس التي أنتج فيها الخطاب.^(٦) ولذلك فإن اختلاف النص عن الخطاب لا يقتضي اختلاف المتلقي، وإنما يقتضي اختلاف الآليات التي يوظفها في كل مستوى؛ إذ يتحول من قارئ للبنية إلى مؤول للفعل التواصل.

وإذا كان النص يمثل البنية اللغوية، التي تنتظم فيها الوحدات اللسانية وفق علاقات داخلية تحقق تماسكها، فإن إنتاج المعنى لا يقف عند حدود هذه البنية، بل يتوقف على مجموعة من الآليات النصية والخطابية التي تسهم في توجيه فعل التلقي، وتفتح أمام المتلقي إمكانات متعددة للتأويل، فالمعنى لا يُستخلص من العناصر اللغوية منفردة، وإنما يتولد من شبكة العلاقات التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض، ومن الصلات التي يقيمها المتلقي بين هذه الأجزاء في ضوء خبرته اللغوية والمعرفية والثقافية^(٧). ومن هنا أصبحت دراسة آليات بناء المعنى من أهم القضايا التي انشغل بها علم النص وتحليل الخطاب؛ لأنها تمثل الوسيط بين البنية اللغوية والدلالة المتحققة في ذهن المتلقي.

وتأتي **الإحالة** في مقدمة هذه الآليات؛ إذ تقوم بوظيفة الربط بين عناصر النص عن طريق الإشارة إلى مرجع سابق أو لاحق أو خارج النص، بما يحقق استمرارية الدلالة ويمنع تفككها، ولا تقتصر وظيفة الإحالة على تحقيق التماسك الشكلي، بل تسهم في توجيه المتلقي إلى إعادة بناء المرجع، الذي تحيل إليه الألفاظ، الأمر الذي يجعل عملية الفهم قائمة على التفاعل بين ما يصرح به النص وما يستحضره المتلقي من معارف سابقة، وكلما اتسعت المسافة بين العنصر المحيل ومرجعه ازداد دور المتلقي في استعادة العلاقات النصية وإكمال حلقات المعنى^(٨).

ويرتبط الحذف بالإحالة، بوصفه آلية تعتمد الاقتصاد اللغوي مع المحافظة على اكتمال الدلالة؛ إذ يحذف النص عنصرًا يمكن للمتلقي استنتاجه اعتمادًا على السياق أو على القرائن النصية والمقامية، ويكشف الحذف عن أن النص لا يقول كل شيء صراحة، وإنما يترك فراغات دلالية يقصد أن يملأها المتلقي اعتمادًا على كفاءته التأويلية^(٩). فإن الحذف يمثل استراتيجية نصية تستثير المتلقي وتجعله شريكًا في إنتاج المعنى. ويتحقق **الاتساق** عن طريق الوسائل اللغوية، التي تربط أجزاء النص، مثل الإحالة، والربط، والتكرار، والاستبدال، والحذف، في حين يمثل الانسجام المستوى الأعمق الذي يقوم على الترابط الدلالي والمنطقي بين الأفكار، فإذا كان الاتساق يُدرك من ظاهر النص، فإن الانسجام لا يتحقق إلا بفاعلية المتلقي، الذي يعيد تنظيم العلاقات الدلالية ويقيم الصلات بين القضايا المطروحة، مستعينًا بمعرفته بالعالم وبالسياق الثقافي والتداولي؛ ولذلك قد يكون النص متسقًا من الناحية اللغوية، لكنه يظل عاجزًا عن تحقيق الانسجام إذا افتقد المتلقي القدرة على إدراك العلاقات التي تنتظم معانيه^(١٠).

ويعد السياق من أكثر العناصر تأثيرًا في بناء الدلالة؛ إذ لا يمكن تفسير الخطاب بمعزل عن الظروف التي أنتج فيها، ولا عن أطراف العملية التواصلية ومقاصدهم، فالسياق اللغوي يحدد وظيفة المفردات والتراكيب داخل النص، في حين يسهم السياق المقامي والاجتماعي والثقافي في توجيه التأويل وتحديد المعنى المقصود^(١١). وعليه أصبح المتلقي مطالبًا بتجاوز حدود النص الظاهرة لاستحضار الظروف المحيطة به؛ لأن كثيرًا من الدلالات لا تنكشف إلا في ضوء المقام، الذي قيل فيه الخطاب.

٦- ينظر: تداولية الخطاب: من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب: ١٤٤؛ الخطاب والنص: المفهوم والعلاقة والسلطة: ٢٠٨.

٧- ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: ٧٨؛ النص والسياق: ١٨٣.

٨- ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: ٧٩.

٩- ينظر: المصدر نفسه.

١٠- ينظر: لسانيات النص: ١٥.

١١- ينظر: لسانيات النص: ١٥-١٤؛ النص والسياق: ٢٥٨.

ويتصل بذلك مفهوم القصيدة، الذي يمثل أحد معايير النصية الأساسية؛ إذ لا يُنتج الخطاب اعتباطاً، وإنما يصدر عن قصد تواصل يسهل المتكلم إلى تحقيقه، غير أن هذا القصد لا ينتقل إلى المتلقي انتقلاً مباشراً، بل يُستدل عليه عن طريق العلامات النصية والقرائن التداولية، ومن ثم فإن نجاح التواصل يتوقف على قدرة المتلقي على استكشاف المقاصد الكامنة وراء البنية اللغوية، وإدراك العلاقة بين الملفوظ وما يراد به، وهو ما يجعل القصيدة عنصراً مشتركاً بين المنتج والمتلقي في بناء المعنى^(١٢).

أما **الحجاج**، فيمثل البعد الإقناعي للخطاب؛ إذ يعتمد على تنظيم الأدلة والروابط المنطقية والبلاغية بقصد التأثير في المتلقي وتوجيه موقفه الفكري أو السلوكي، ولا تتحقق فاعلية الحجاج بمجرد وجود الحجاج، وإنما تتوقف على كيفية تلقيها وتأويلها وتقويم قوتها^(١٣)؛ ولذلك فإن المتلقي يشارك في اختبار العلاقات بين المقدمات والنتائج، وفي تقدير مدى انسجامها مع معارفه السابقة ومسلّماته الثقافية. ومن الحجاج ينتقل البحث إلى **الاستدلال** بوصفه العملية الذهنية، فعن طريقها يربط المتلقي بين المعطيات النصية للوصول إلى معانٍ غير مصرح به، فالخطاب لا يقدم دلالاته مكتملة، وإنما يترك للمتلقي مهمة استنتاج النتائج وربط الأسباب بالمسببات^(١٤)، واستكمال ما يغيب من حلقات المعنى اعتماداً على القرائن النصية والتداولية، ويكشف ذلك عن أن الفهم ليس مجرد استقبال للمعلومات، بل هو نشاط معرفي يقوم على الاستنباط والتأويل وإعادة بناء العلاقات الدلالية، وهو ما يمنح المتلقي مكانة مركزية في العملية التواصلية.

المبحث الثاني

المتلقي في نهج البلاغة: دراسة نصية وخطابية

إن الانتقال من التأصيل النظري إلى الجانب التطبيقي لا يمثل انتقالاً من مستوى إلى آخر فحسب، وإنما يمثل اختباراً لفاعلية المفاهيم، التي أسس لها البحث في المبحث السابق، ذلك أن قيمة المفاهيم النصية والخطابية لا تتحدد بمجرد قدرتها على تفسير الظواهر اللغوية في إطارها النظري، وإنما بمدى كفاءتها في الكشف عن آليات إنتاج المعنى داخل النصوص الواقعية. دراسة.

ولا يخفى أن نصوص **نهج البلاغة** تمتاز بالتكثيف الدلالي، والتنوع الأسلوبي، فضلاً عن ارتباطها بسياقات سياسية واجتماعية وثقافية أسهمت في تعدد مستويات قراءتها؛ لذا نجد المتلقي يدخل في شبكة من العلاقات النصية والتداولية، التي تستلزم منه استحضار الخزين المعلوماتي، وربط أجزاء النص ببعضها ببعض، واستنتاج مقاصد الخطاب.

ولهذا سيعتمد البحث على تحليل ثلاثة نماذج من **نهج البلاغة** تمثل أنماطاً خطابية مختلفة، هي: **الخطبة الشقشقية**، و**عهد الإمام علي (عليه السلام)** إلى **مالك الأشتر**، ومجموعة مختارة من الحكم. وقد جاء اختيار هذه النماذج لأنها تمثل مستويات مختلفة من بناء الخطاب؛ فالخطبة الشقشقية تمثل الخطاب الحجاجي السياسي، والعهد يمثل الخطاب التوجيهي المؤسسي، في حين تمثل الحكم الخطاب المكثف الذي يعتمد على الاقتصاد اللغوي والانفتاح الدلالي. ومن ثم فإنها تقدم مجاًلاً مناسباً للكشف عن اختلاف آليات التلقي باختلاف البنية الخطابية، مع بقاء المتلقي محوراً مشتركاً في إنتاج الدلالة.

* المتلقي وآليات إنتاج المعنى في الخطبة الشقشقية:

تعد الخطبة الشقشقية من أكثر نصوص **نهج البلاغة** إثارة للاهتمام في الدراسات النصية والخطابية؛ لما تتميز به من كثافة لغوية، وتداخل في المستويات الدلالية، وقوة في البنية الحجاجية، فضلاً عن ارتباطها بسياق تاريخي وسياسي أسهم في تعدد قراءاتها وتباين تأويلاتها. وقد أدى هذا التباين إلى تفعيل دور المتلقي حتى أصبح جزءاً من النص والخطاب، فلم تغلق الوحدة النصية بابها بل وازت الخطاب في استحضار المتلقي،

١٢ - ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٩٨.

١٣ - ينظر: **الحجاج والبنية المعرفية**: ٨٠.

١٤ - **الحجاج والبنية المعرفية**: ٨٨.

كما أصبحت الزمكانية عناصر مساعدة ضمن الخزين المعلوماتي والتاريخي ، فنرى بداية الخطبة تحمل تلك الأدوات ما قولى صلتها بالتداولية ، يقول (عليه السلام): ((أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة)).

فالقول «تقمص» يمثل صورة استعارية تحمل بين طياتها التداخل اللغوي بين النص والخطاب بل التوافق بينهما ، فكل شيء أهل وللخلاقة أهلها ، ومن يتقمص غير ذلك بيان ويفضح أمره ، لكونه ليس أهلاً له ولا ثوبه ، فجمع المتكلم عنصرين البلاغي المتمثل بالتقمص مع التداولي المتمثل بالسياق التاريخي ، وبه يفك المتلقي الشفرة من قصد المتكلم لا ظاهر كلامه.

ولا يقتصر الأمر على الفعل فقد أضفى التنبيه والقسم تهيئة أفق التوقع لدى المتلقي ، فقد رسم القسم إطاراً تداولياً بأن الخطاب يتضمن حدثاً عظيماً ، ما جعله أكثر استعداداً لتتبع الحجج اللاحقة للحكم وربطها بنتيجتها النهائية ، ما يقوي الحكم والتلقي.

وكان للبنية الإحالة الأثر الجلي في إشراك المتلقي في استنتاج المعنى ؛ فلم يذكر المتكلم الاسم الصريح ، وإنما استعمل الكنية «ابن أبي قحافة» ، وهو اختيار لغوي يحمل المتلقي مسؤولية تحديد المرجع الإحالي استناداً إلى خزينه المعلوماتي بالسياق التاريخي ، وبذلك تتحول الإحالة من وسيلة اتساق نصي إلى وسيلة تداولية تستدعي الكفاءة الموسوعية للمتلقي ، فيغدو فهم النص مرهوناً بقدرته على الربط بين الكنية والمرجع الخارجي ، فالإحالة هنا إحالة مقامية ، تسهم في بناء الخطاب بقدر إسهامها في بناء النص ، وأمر ذلك يتوقف على قدرة المتلقي في الاشتراك في عملية الفهم والإفهام.

يتضح من أعلاه أن الخطبة الشفوية تقدم المتلقي بوصفه عنصراً منتجاً للمعنى ، تنتقل الدلالة عن طريقه من مجرد بنية نصية متماسكة إلى خطاب يمتلك أثره التواصل والتداولي ، وهذا يؤكد أن المتلقي يمثل الحلقة الوصل بين النص والخطاب ، بالتفاعل المستمر بين البنية النصية والبنية الخطابية.

*** المتلقي بين النص والخطاب في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر:**

يمثل عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر نموذجاً خطابياً ، قائم على التوجيه ذي الطبيعة السياسية والإدارية والأخلاقية ، وهذا التنوع في الوظائف الخطابية يجعل دور المتلقي أكثر تعقيداً ؛ لأن المقصود بالخطاب ليس شخص مالك الأشتر وحده ، وإنما يمتد ليشمل كل من يتولى مسؤولية عامة ، حتى المتلقي يجد نفسه شريكاً في تلك المسؤولية ، فيتجاوز حدوده الزمنية ليصبح عنصراً مستمراً في إنتاج المعنى ، وهذا جعل النص حاضراً في الدراسات اللغوية والتداولية إلى يومنا هذا^(١٥).

ويبدأ العهد بسلسلة من التوجيهات التي تؤسس منذ البداية لعلاقة خاصة بين المتكلم والمتلقي ، تقوم على سلطة أخلاقية ومعرفية تمنح الخطاب قوة تأثيره. غير أن هذه السلطة لا تُفرض عن طريق الأوامر المجردة ، وإنما تُبنى عبر تعليل الأحكام وربطها بالمقاصد العامة ، الأمر الذي يجعل المتلقي لا يستقبل التعليمات بوصفها أوامر منفصلة ، بل بوصفها نظاماً فكرياً متكاملاً ، وبتجلى ذلك بوضوح في قوله (عليه السلام): (وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللفظ بهم)).

نجد الفعل (أشعر) يحمل بين طياته معاني القيادة الحكيمة من الرحمة والحب والتعاون ، كأنه نداء مباشر للقلب مركز استقرار تلك القيادة ، لتكون جزءاً من التكوين النفسي ، وهنا تكمن قوة التفاعل الذهني ، حتى يدرك باتفاق المعجمي مع التداولي للفظ الوالي ، وإذا ما تمعنا بخطابه وعشناه نجده قوة الخطاب القلبي يعني تأسيس داخلي أخلاقي ، وبهذا الأساس المحكم تبنى القيادة والسياسة وكل أمر حكيم ، وبصفتي متلقياً أنتقل من فهم النص إلى تأويل مقصده ، بالاستعانة بأدوات لغوية وثقافية ، ومن انطلاقة الاستشعار ، التي تمثل البوابة القلبية بخيرها وشرها ، والمتكلم طرق خيرها ؛ لذا نجد خلفها التدرج الدلالي واضحاً (الرحمة ثم المحبة ثم العطف) فجعل المتلقي متكلاً آخر تمثل أقوى درجات التأثير وجذب انتباه المتلقي ، فحمل ذلك قصيدة المتكلم ، كما نجد ذلك في صورتين علاقة الحاكم والمحكوم ، والمتكلم والمتلقي ، فهما صورتان عن الانسجام الدلال للوحدة النصية.

١٥ - ينظر: الخطاب في نهج البلاغة: بنيته وأنماطه ومستوياته؛ في قضايا الخطاب والتداولية: ٢٢٥.

ولا يقتصر الأمر على ذلك فقد أسهمت كثرة الروابط وتنوعها سواء أكانت روابط العطف أم التعليل أم الشرط بوظائف نصية تتجاوز الربط الشكلي بين الجمل؛ فانتقال المتكلم من الأمر إلى التعليل ، أو من الحكم إلى النتيجة، فإن المتلقي يشارك في بناء الحجة بتتابع مسارها.

فضلاً عن تكرار الإحالات الضميرية العائدة الرعية أو الوالي أو غيرها من المراجع، فتتحقق اقتصاداً لغوياً من جانب، وتشد المتلقي في العملية التواصلية وتتبع العلاقات النصية من جانب آخر؛ وبذا يصل إلى عمق المعنى النصي.

وبما أن العهد كُتب في ظرف سياسي محدد، يبيان الأثر التداولي عم طريق تأسيس مبادئ عامة للحكم والإدارة، فالظرف محدد بتولي مالك الأشتر الحكم على مصر، لكن المبادئ عامة فيأتي دور المتلقي المزدوج، فجنده يستحضر المناسبة التاريخية للنص، لكن السمة الاستمرارية، تجعل فعل التلقي مطلق ويتجدد الأزمنة والظروف، فكما أن الحدث مفتوح الدلالة كذا عملية التلقي.

يتضح من السابق أن المتلقي لا يتعامل مع نص مغلق، وإنما مع خطاب حيّز التنفيذ ومفتوح الدلالة يشمل كلّ وكان ومكان، وتتنوع فيه الوظائف الإرشادية والأخلاقية والسياسية، ما يفرض على المتلقي التفاعل مع المتكلم عن طريق فهم التراكيب اللغوية، ثم إدراك العلاقات النصية، بعدها استحضار السياق التاريخي، ثم الاستنتاج لاستنباط المقاصد العامة التي ينتظم بها الخطاب، ما يعني أن المتلقي يمثل الحلقة الوصل بين النص والخطاب، وعليه تتولد الدلالة.

الخاتمة

حاول هذا البحث استقصاء دور المتلقي في بناء المعنى بين النص والخطاب، انطلاقاً من المعنى في النص، ولا يتحدد مقاصد المتكلم فحسب، بل من التفاعل المستمر بين النص والخطاب والمتلقي في إطار سياقات تداولية ومعرفية وثقافية متعددة. وقد ارتكز البحث عينة تنماز بخلودها التنفيذي، ألا وهي نهج البلاغة، فثراء نصي وخطابي يجعله مفتوح الدلالة ومطلقاً لإنتاج الدلالة، وإبراز الوظيفة التأويلية التي يضطلع بها المتلقي.

- أوضح البحث دور المتلقي في العملية التواصلية؛ إذ غدا شريكاً فاعلاً في إنتاج المعنى، ويستدل بالعلاقات اللغوية والتداولية للوصول إلى المقاصد الكامنة في الخطاب.

- نجد في أحيان لا يمكن الفصل بين النص والخطاب ، فما يحمله النص من أدوات لغوية وعناصر زمكانية تُسهم في فك شفرة الخطاب وبيان قصديته، وبالأحرى ما تحمله الدلالة النصية في طياتها يعد وسيلة لتأويل الفعل التواصلية.

- كما هو معلوم في تحليل الخطاب والتداولية ، يستند إلى مجموعة من الأدوات وفق سياقات معينة تاريخية وثقافية وسياسية ودينية ... وكلها تعد جزءاً من الخزين المعلوماتي ، فهي مرجعيات تُستحضر أثناء الخطاب وتحليله ، فضلاً عما تخزنه الذاكرة من أحداث واقعية ، يستدل بها المتكلم في خطابه ويستند إليها المتلقي في فك شفرة الخطاب ، وهذا ما وجدناه في الخطاية الشقشقية والنصوص الأخرى من نهج البلاغة، ما أكد أن اختلاف الأنماط النصية لا يعني غلقه أو استبعادها إلى اختلاف مركزية التلقي، وإنما تنوع الأدوات والوسائل التحليلية .

- ومن أبرز ما قدمه البحث أن معانيه لا تأتي في صورة مغلقة ونهائية، وإنما يظل نصاً مفتوحاً وقادراً على إنتاج دلالات متجددة بتجدد المتلقي وتنوع آفاقه المعرفية والثقافية، ما أكسبه الحضور المستمر في الدراسات النصية والبلاغية والتداولية. وما يعني أن المتلقي يمثل البؤرة التواصلية واستمرار عملية الفهم والإفهام.

المصادر والمراجع:

- تأثيرات الفلسفة الظاهرانية في نظرية التلقي، مجلة العلامة ، مجلد : ٦/ العدد : ٣.

- تداولية الخطاب: من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب؛ آن روبول ، جاك موشلار ، تر: لحسن بوتكلاي ، ط١، كنوز المعرفة ، الأردن، ٢٠٢٠م.
- الحجاج والبنية المعرفية: بحث في الاكتساب؛ توبي الحسن، ط١، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٢٠.
- الخطاب في نهج البلاغة: بنيته وأنماطه ومستوياته؛ في قضايا الخطاب والتداولية، د. حسين العمري، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت - لبنان، ١٩٧١ .
- الخطاب والسلطة؛ توين فان دايك ، تر: غيداء العلي، مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف، ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ٢٠٠٦.
- الخطاب والنص: المفهوم والعلاقة والسلطة؛ د. عبد الواسع الحميري، ط٢ ، بيروت ، ٢٠١٤م.
- سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي؛ خديجة غفيري ، أفريقيا الشرق - المغرب ، ٢٠١٢.
- في بناء النص ودلالته(نظم النص التخاطبي- الإحالي)، مريم فرنسيس، م: ١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠١.
- في قضايا الخطاب والتداولية؛ د. ذهبية حمو الحاج، كنوز المعرفة، ط١، ٢٠١٦م.
- لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)؛ محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط١، بيروت، ١٩٩١
- مدخل إلى علم لغة النص؛ روبرت ديبوغراند، والبقية ، ط١، مركز نابلس للكمبيوتر، مطبعة دار الكاتب، ١٩٩٢م.
- النص والخطاب في المباحث العرفانية؛ تنسيق: د. منجي القلفاض، أعمال الندوة الدولية الثانية - المعهد العالي للغات، جامعة قابس- تونس ، ط١، كنوز المعرفة، ٢٠١٨م.
- النص والخطاب والاتصال؛ أ.د محمد العبد، ط١ ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ٢٠٠٥م.
- النص والخطاب والإجراء؛ روبرت دي بوجراند، تر: د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨م.
- النص والسياق(استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) تر: عبد القادر قنيني، دون ط ، أفريقيا الشرق ، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠.